انكلترا بين الجد واللعب

كلفت مجلة اوتلوك الاميركية مراسلَين لها في انكلترا ان يوافياها الواحد بمقال عن رأيه فيما اشتهر عن شدة ميل الانكليز الى الالعاب الرياضية حتى جاوزوا فيها الحدّ الواجب على ما يرى فريق . والآخر بمقال عن انهماك الانكليز في الاعمال والموازنة بين جدّهم ولعبهم ففعلا . وها نحن ملخصون ما نشرتهُ المجلة لهما في عددها الاخير قال الاول

(١) انكلترا تلعب

يخيّل اليّ ان رديرد كبلنغ(١) عدا طورهُ لما سمّى قومهُ منذ سنين « الاغبياء لابسي القلانسل » وهزأ بهم ايما هزء. فان اللعب وحبّ اللعب والانهماك في اللعب اي اللعب الرياضي امور لا غبار عليها وليس من ينكر نفعها ولزومها لصحة الجسم والعقل معاً الاّ اذا بولغ فيها كلّ المبالغة كما يفعل الانكليز الآن . وعليهِ ارى انهُ لا يبعد ان يقوم كبلنغ جديد ينعى على الانكليز استرسالهم في اللعب الرياضي الى حدّ ان يفضلوهُ على العمل. فان ملايين من الناس في انكلترا لا عمل لهم الآن على حين ان ملايين اخرين اكثر منهم مضت عليهم الشهور وهم ينفقون اوقاتهم وافكارهم وقلوبهم لا على مشاكل البطالة المخيمة في جميع اطراف البلاد بل على سباق الخيل والمباريات في جميع صنوف الالعاب الرياضية المختلفة

وقد بلغ من شغف القوم بالرياضة ان الصحف تشغل معظم اعمدتها بعبارات التنس والكريكيت والجولف والتجديف وسباق القوارب والخيل والمصارعة والملاكمة وتترك اعمدة قليلة للبحث في اعظم مشكلة تشغل البال في قارة اوربا كلها وهي اعادة الاعمال الى مجراها السابق . وليس من ينكر ان لعبك طول يومك امر يلذ لك ولكن ما من امة تفرّق العمل وحبّ العمل كثيراً عن منزلة سائر المرافق تستطيع مداومة السير الى الامام والثبات في معترك الحياة

ويظهر لي ان كثيرين هنا يكادون ينسون هذه الحقيقة او يبحثون فيها بما تستحق من العناية والجدّ . فقد مضت اسابيع والصحف اكثر اهتماماً بحكاية

(١) شهير الشعراء الانكليز الاحياء الآن

الالعاب الرياضية منها باعتصابات العمال ومشاكل الميكانيكيين والمؤتمر الامبراطوري وفداحة الضرائب . نعم ان حكام البلاد الحقيقيين يجتمعون في برلمانهم على جاري عادتهم ولكن الامة مبالغة في اجتنابهم وتركهم وشأنهم يعملون ما يريدون بدلاً من ان ترقب اعمالهم ولو بعض الشيء

ان الميل الى الرياضة حسن ولكن الميل الى العمل احسن . فلم تمض على الهدنة سوى ثلاث سنوات الى الآن ولكن اذا نظرت الى الالمان وجدتهم قد عادوا الى اعمالهم التي كانت لهم قبل الحرب ولا هم لهم الاّ ان يتعبوا ويشقوا ليستعيدوا المقام الاول الذي كان لهم في صناعاتهم القديمة . وقد شرعوا يغرقون انكلترا نفسها ببضائعهم مثل السكاكين والاصباغ والمصنوعات المختلفة وبافكارهم ايضاً . فترى اهل لندن يحلقون بمواس المانية ويحملون سكاكين رخيصة من صنع المانيا . وذلك لان صنع هذه الادوات في انكلترا يكلف ثلاثة اضعاف ما يكلف في المصانع الالمانية بسبب غلاء الاجور في انكلترا. وبقي العامل الانكليزي حتى اخفاق الاضراب الاخير لا يهمهُ سوى امرهِ الشخصي ولم يرد ان يفهم انهُ اذا لم يكره الالمان في السنوات الخمس الآتية على رفع اجور عمالهم فان الصناعات الانكليزية تبور وتصبح المانيا « فوق الكل » في الصناعة والتجارة على الاقل

ورأيي ان نقابات العمال تنبهت لهذا الامر ولكن اخشى ان يكون تنبهها هذا بعد فوات الفرص . فقد سمعنا في الزمن الاخير عن سعيها لانقاذ الصناعات الانكليزية ونجاحها في هذا السعي بدليل عود الفحامين وعمال سكك الحديد كلهم الى اعمالهم ورضاء الميكانيكيين ان تخفض اجورهم شيئاً

ثم ان الفئة الكبرى من الاهالي قلما تعنى بقراءة الكتب الآن لان اثمان معظم الكتب باهظة. وسبب هذا ان المطابع زادت الاثمان ثلاثة اضعاف او اكثر على اثر غلاء الورق وارتفاع اجور العمال . فالرواية التي كانت تباع قبل الحرب بشلن تباع اليوم بستة شلنات الى ثمانية . والقراءة بغير هذه الطريقة صعبة لان المكاتب العمومية هنا دون ما هي في اميركا بكثير ما عدا بعض المكاتب المحلية . والقراءة في غرف المتحف البريطاني ليست دون ذلك صعوبة لما يحفها من المعاملات الرسمية . فلا عجب والحالة هذه اذا رأينا اهل انكلترا يندفعون الى الالعاب الرياضية هذا الاندفاع الذي تقدم وصفهُ . فانهم يفتشون عن وجه مثير

يضيء ظلمات همومهم النواصب وينسيهم ضرائبهم الفادحة ولا يجدون هذا الوجه المنير الاَّ في الرياضة

ومن الحقائق المشاهدة الملموسة ان انكلترا جعلت تنكص الى الوراء في الاشهر الماضية نكوصاً مقلقاً في سباق التجارة والملاحة والنفوذ العام . ولكنها لم تحسّ بذلك ولا قلقت لهُ حتى الآن بل ما زالت ناعمة البال متكلة على حسن حظها وعلى اعتقادها العتيق ان كرتها ستنفرج يوماً من الايام وبطريقة من الطرائق

لست اريد الاكثار من التعيب في هذا المقام فاني مولود لندن وغير مجهول المكان في هيئتها الاجتماعية ولكني ارى ما لا يرى معظم الانكليز وهو ان المنافسة الالمانية على ازدياد . وقد تنبه الاميركيون لهذه المنافسة فقاموا يدرأونها بزيادة الرسوم الجمركية على الواردات ولكن هذه الوسيلة ليست بنافعة على مرّ الايام اذ لا يمضي زمان قصير حتى نسمع الاميركيين يتساءلون لِمَ ندفع ثمن حاجياتنا ثلاثة اضعاف ما ندفعهُ لو لم تزد هذه الرسوم . وقد يفيدهم ان يعلموا ان زوجتي الحذاء يباعان هنا بنصف ما يباعان بهِ في نيويورك على حين ان تجار الاحذية في اميركا يربحون ارباحاً فاحشة

ويداوي الانكليز اصحاب الارباح الحرمة عندهم بدواء طالما نجع . ففي هذه السنة قاطعوا معامل براميل القش لانها رفعت اثمانها فاضطرت ان تنزلها . ومنذ سنتين غلت بذلات الرجال والنساء غلواً فاحشاً فقوطعت فرخصت . انتهى ملخصاً

(٢) انكلترا تجدّ

غادرت انكلترا بعد مقامي فيها شهراً وكان اعظم ما وقع في نفسي منها الطريقة التي يعالج الانكليز بها مشاكلهم الكبرى . ولما جئت انكلترا هذه المرة بعد غياب ثماني سنوات عنها كنت مشوقاً جداً للاطلاع على مجرى الاحوال فيها ولاسيما ان كثيرين من مواطني كانوا قد اخبروني باشاعات كثيرة مبهمة مفادها ان الزائر الاميركي لانكلترا يلقى مشقات جمة في خلال اقامتهِ بها . فمن هذه المشقات مثلاً ان القطارات قليلة في البلاد بسبب الاضطرابات وان معظم ما يقدم من المآكل

في المطاعم ما آكل باردة اقتصاداً في الفحم . وان حاجيات المعيشة قليلة . وان الاميركيين يعاملون في انكلترا كانهم سماريون بسبب رفضهم لجمعية الامم

على انني لم اقم بالبلاد بضع ساعات حتى ايقنت ان هذه الاشاعات كلها باطلة. فقد ركبنا الى لندن قطار اكسبرس فيهِ جميع اسباب التنعم من طعام انيق سخن لا بارد كما حسبنا وسائر ما هناك من وسائل الراحة مما لم اجد احسن منهُ في القطرات الاميركية فضلاً عن رخص الاجرة في جنب ما هي عليهِ في اميركا. وكان الاوتوموبيل الذي ركبناهُ من المحطة الى الفندق اجمل وارخص من الاتوموبيلات في نيويورك . وغرف الفندق وطعامهُ والخدمة فيهِ مثلها هي في فنادق نيويورك الاّ الفنادق التي من الصنف الاول . اما النفقة فاقل بكثير

وبعد زيارتي لمدن الاقاليم اتضح لي ان الاميركي يجد من اسباب الراحة في انكلترا الآن ما كان يجدهُ في كل زمان مضى ويجد ايضاً ان نفقة معيشتهِ فيها اقلُّ مما هي في بلادهِ . ثم ان اثمان الحاجيات في انكلترا ارخص بكثير مما هي في اميركا حتى على حساب قيمة الشلن قبل الحرب اي ٢٤ سنتاً فكيف وقيمة الشلن الحالية ١٨ سنتاً فان ذلك يزيد قيمة الدولار (الريال) الشرائية كثيراً . فالنزول في احسن الفنادق التي خارج لندن لا يكلف الواحد سوى اربعة ريالات او اقل واسعار المنسوجات الكتانية والصوفية والحريرية ارخص في انكلترا منها في اميركا. وهذا هو حال اجور المساكن والخدم والمؤن وغيرها

وليس هناك ما يذكر السائح في انكلترا انها مرّت باعظم الحروب نفقة عليها واشدها ضرراً بها في جميع تاريخها الطويل . فانهُ لا يكاد يرى رجلاً واحداً ممن شوهتهُ الحرب ولا يكاد يسمع اشارة الى خسارة الرجال العظيمة في الحرب او الى نكباتها الكثيرة حتى ان شارات الحداد اندر من النادر . ولكنهُ اذا سأل احداً بعض مسائل او طالع صحف البلاد ادرك حينئذٍ عظم الثمن الذي دفعتهُ انكلترا بالنصر من دماء رجالها ونسائها شباناً وكهولاً وفتيات

واذا فتشت وجدت ان الخياط الذي خاط لك بذلتك بترت ساق من ساقيهِ في فرنسا . وان الكاتب في مخزن من مخازن الصور اطلق عليهِ الغاز في معركة مسين . وان الخادمة التي ترتب غرفة منامك في الفندق فقدت شقيقها في غليبولي

واعظم الادلة على فتك الحرب كشوف القتلى من الضباط والادباء المنشورة في المعاهد العلمية المختلفة . فالكشوف المنشورة في الكليات تصدع القلوب بفعولها. وكلُّ من تلقاهُ من الانكليز يشكو فقد قريب عزيز . وقد دفعت انكلترا ثمن الحرب من دماء رجالها وبقي ان تدفع الاموال الكثيرة التي استدانتها وهذا لا يتمُّ قبل مرور عشرات من السنين . وثمن كل شيء فيها زاد ضعفين وثلاثة اضعاف وبلغت الضرائب ما لم تبلغهُ قبلاً حتى ان الحكومة تأخذ ثلث كل دخل يبلغ الف جنيه في السنة . وتزيد الضرائب بزيادة الدخل على ذلك حتى تبلغ ثلاثة ارباعهِ . والرجل ذو الدخل القليل مضطرٌّ ان يحرم نفسهُ وعائلتهُ كل كماليٍّ ويقتصر على الحاجيات اللازمة كل اللزوم . وصاحب الاملاك يعرضها للبيع ويبيعها باعلى الاثمان الممكنة . ومعاهد الاحسان تقفل تباعاً لان الذين كانت تعتمد عليهم في صدقاتها افتقروا ولان حديثي النعمة لم يتعودوا العطاء بعد . ومشاكل العمال تزيد الحالة تفاقماً ولو طال اعتصاب الفحامين قليلاً لبات نكبة وطنية . اضف الى ذلك المشكلة الارلندية والقيظ الذي انتاب البلاد فلفح حقولها وأيبس كل خضراء فيها

هذه كلها مشاكل ذات بال لا يحتمل وطأتها الاَّ كلُّ حضارة قامت على اصحِّ الاسس والقواعد في الحكم الذاتي . وليست معارك السلام التي تقام في انكلترا الآن معارك في سبيل المجد كمعارك الحرب الماضية ولكن انكلترا تقاتل فيها بمثل العزيمة الصادقة التي التمست بها معاركها في الحرب فافضت الى انكسار الالمان

اما نحن الاميركيين فلا ننسَ ان اعزَّ ما في حضارتنا واجلهُ انما هو انكليزي الاصل . فانظمة حكومتنا وقوانيننا وتربيتنا كلها مبنية على اختبار انكلترا في القرون الطويلة. والمرجح ان تضعضع انكلترا يفضي الى تضعضعنا ايضاً . فمصلحتنا الذاتية وحدها تدعونا الى مدِّها بكل معونة مادية فكيف ونحن سلالتها وورثة تركتها العقلية والروحية فان ذلك يحدونا على مشاطرتها ثروتنا المادية وامدادها بمساعدتنا الادبية . كذلك لا ننسَ ديننا لها لانها حاربت معاركنا البرية والبحرية وحدها من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٧ بلا معونة منا . وفي الشطر الاخير من الحرب حاربت معنا جنباً الى جنب لانقاذ حضارتنا المشتركة